

🏠 « اللغة العربية: الجذع المشترك آداب وعلوم إنسانية » المؤلفات : فن الرواية « الحي اللاتيني (سهيل إدريس) - قراءة تحليلية

جرد الأحداث

بداية من الممكن أن يتم ادراج هذه الرواية ضمن الروايات الحضارية والتي تقوم على تصور العلاقة بين الشمال والجنوب أو حتى بين الغرب والشرق بمعنى أنها تقوم على تصور العلاقة بين الآن والآخر أو حتى يمكن أن يكون لقاء حضري بين الشرق بعبادته ومعطياته سواءا أكانت هذه المعطيات حسية أو حتى معطيات روحية وبين الشرق بكل ما يحمل من معطيات سواء أكانت هذه المعطيات أيضا معطيات مادية او حتى معطيات تكنولوجية وعلمية ، وتمثل هذه الرواية كون أن ما سبق يمكن أن يمثل علاقة تحتوي على التواصل والحوار والاحترام والتعايش فيما بين الحضارات وقد يكون أيضا عكس ذلك بمعنى أن تكون العلاقة مبنية على الحسد والكراهية والبغض والعدوان والجدل ونحو ذلك وهذه الرواية تعد من الروايات الحضارية التي تحتوي على مقارنة حضارية بين الشرق والغرب بما يميز كل منهما كما يمكن أيضا اعتبار رواية الحي اللاتيني سيرة ذاتية لمؤلفها الكاتب (سهيل ادريس) وذلك لتطابق أحداث الرواية مع سيرة الكاتب سهيل ادريس من بعض النواحي الاجتماعية والثقافية والأدبية ونحو ذلك ، وقد قام الكاتب سهيل ادريس بوضع بعض الأساسات لروايته الحي اللاتيني حيث مثل أنه قام بوضع بعض الشخصيات التي تقابل بعضها البعض فمثلا فضائيا وحضاريا وضع الشرق ضد الغرب وجنسيا وضع الذكر العربي بمواجهة الأنوثة الغربية وبين اللون وضع الكاتب سهيل ادريس الأسمر العربي مواجه للشرقاء الغربية وهكذا ، وقد قام بفعل كل ذلك حتى يستطيع أن يرصد التفاوت الحضاري والاختلاف الموجود بين البيئتين العربية والغربية فالأولى مكبلة بالحرمان والمنع ومربوطة بالعادات والتقاليد ونحو ذلك والثانية تتمتع بالحرية والانفتاح والعلم والاقبال على الحياة ولو في ثوبها الأخلاقي نحو ذلك ، وكانت القصة قد تمثلت في سفر بعض من الأصدقاء برفقة صاحبهم والذي كان يؤدي دور البطولة في القصة بسفرهم من لبنان متوجهيين الى بلد غربي وهي دولة فرنسا حيث أنهم كانوا قد قصدوها بنية الدراسة وتحصيل درجات علمية كبيرة جدا الا أنهم وبمجرد وصولهم الى هذا البلد الغربي واستقرارهم في الفندق ذهبوا ليرموا أنفسهم في أحضان العهر والخمر والمجون راميين خلف أظهرهم الثقافة التي طالما تربوا عليها باثثناء بطل القصة الذي لم يفلح في فعل ما قام به أصدقائه فانطلق الى الشوارع ليلاصم فتيات الشوارع وفتية الأرصفة الا أن تمكن أخيرا من العثور على الفتاة الشقراء التي طالما بحث عنها والتي كانت تقطن في نفس الفندق الذي يقطن به البطل وأصحابه العرب وجمعتهما علاقة جسدية وعلاقة حب متبادلة الى أن رجع الى بيروت لزيارة أمه وفي هذا الوقت كانت قد أخبرته أنها قد حملت منه الامر الذي كان قد أنكره فانتهدت علاقتهما معا وعندما أراد أن يستسمح منها على فعله وأن يتزوجها رفضت ذلك بقولها له عد أنت الى شريكك واتركني أنا هنا اكمل طريقي في موطني .

جرد الشخصيات

الشخصيات الأدبية

تعج رواية "الحي اللاتيني" بشخصيات عديدة، لكنها لا تتخذ كلها نفس الأهمية إذ تتفاوت في نسبة صياغتها للأحداث، ولا دخل لدرجة حضورها في ذلك. "ذلك أنه مقياس ليس كافيا دائما، فقد تقل درجة حضور شخصية ما، لكن نسبة ظهورها في النص مهما كانت قليلة تكون كافية لاعتبارها رئيسة من حيث دورها وأهميتها في تصعيد دينامية النص" (2). من هذا المنطلق، وعلى هذا الأساس نبدأ بجرد الشخصيات معتمدين على مقياس أثرها وفعاليتها.

الشخصيات الرئيسة

■ البطل

طالب عربي في الخامس والعشرين من عمره مجرد من الاسم. جاء إلى باريس لتحضير شهادة الدكتوراه في الأدب العربي. لم يكن جميلا لكن سمرته كانت تكسبه طابعا من الرجولة لا تقابله المرأة باللامبالاة. وبما أنه كان ينظم الشعر فإن أصدقائه، من باب المجاملة

والمزح، ينادونه بالشاعر. على أنه أيقن لما زار صحبة جانين مانثرو متحف "رودان الدائم" أن الذوق الفني إنما يكتسب بالعلم والممارسة والصبر. ربط علاقة مع جانين مانثرو التي تختلف جذريا عن الفتيات اللواتي سبق له أن تعرف عليهن لتمييزها بصفات روحية ونقاء طويتها. ومن خلال سيرورة الأحداث يتبين أن أباه قد مات، وأن أسرته تتكون من الأم وأخوين كبيرين يمتلكان متجرا، وأخيه وأخته الأصغرين اللذين يتابعان دراستهما ونجحا في الامتحان، وأخته الوسطى التي اقتربت خطبتها من شاب ينتمي إلى أسرة محترمة. يبئر السارد وجهة نظره على أخته هدى التي تصفره بأربع سنوات. رافقته إلى قرية "ميروبا" الجميلة بحثا عن الراحة بعد أن ضاقت به الدنيا "وأصبح غريبا لا يحس الأُس والقربى" ص 209. فهو يعتقد أنها تحبه وتفهمه، واضطر إلى مصارحتها بحبه لجانين لعلها تشفق على حاله وتقدم له النصح المناسب. عانت الأسرة الأمرين من إرسال الحوالات إليه بباريس حتى يتمكن من مواجهة تكاليف الحياة وصرورها. وخاصة بعد أن أصبح أخواه الكبار يعانين من ضيق مالي أثر على حياة الأسرة وتطلعاتها. "شعر ببعض الانقباض للتأخر الذي يصاب به متجر أخويه الكبيرين. قرأ على قسما أمه الأسى لذلك، وسمعتها تتحدث عن الضيق الذي يعانونه منذ أشهر، وتعب عن حزنها من أنهم لم يتمكنوا هذا العام من ارتياد المصيف على مالوف عادتهم" ص (192).

■ جانين مانثرو

فتاة باهرة وساحرة ورشيقة، لامعة ذكاء وحسنا وبصيرة وذات ثقافة فنية رفيعة تتابع دراستها في معهد الصحافة العالي. وبما أنها تنتمي إلى أسرة متواضعة فقد اضطرت إلى العمل بمخزن "البرانتان" وذلك لتوفير مصاريف الدراسة الباهظة وقد بان الإجهاد على جسدها لكنها أصرت على المواصلة بين عملها الشاق بالمخزن واستدراك ما فاتها من محاضرات المعهد حتى تحقق حلمها الذي يتمثل في الالتحاق بإحدى الصحف الأسبوعية في مطلع العام القادم. لكن نتيجة الصدمة التي تلقتها من حبيبها العربي انحط وجودها إلى الدرك الأسفل. لقد كان من الممكن أن يأتي في الموعد ليمسك بها قبل أن تسقط في الهاوية. ومن خلال مذكراتها يتضح أنها عاشت فترة عصبية نتيجة مرضها ونحولها فاضطرت إلى بيع كتبها وساعتها وحليتها حتى تتمكن من سد رمقها. وبعد أن أصبحت فتاة ضائعة رغم أنفها لم تجد بدا من أن تستسلم لأي عابر يمد لها مبلغا لتقتات به. ورغم خصائصها فهي لم ترغب في بيع تمثال الأعرابيين عربونا على حبها للحبيب العربي. لقد أخفقت في مشروع زواجها بهنري إلى أن تزعزت ثقتها بالرجل. ورغم إلحاح هنري على إعادة المياه إلى مجاريها أصرت جانين على مجافاته. وكانت تأمل من خلال علاقتها بالرجل الشرقي أن تسترجع ثقتها بنفسها وتبادل الحب الصحيح وتكون أسيرة قيوده. لكن ثقتها العمياء والمطلقة به لم تجن منها إلا صدمة نفسية قلبت حياتها رأسا على عقب. وإن كانت تنعت أصدقاء حبيبها باللفظ والمؤانسة فهي تسم كل واحد منهم بميسم خاص. لم تحب في صبحي طابع الاستهتار. وتحسب أن عدنان لا يخلو من عصبية دينية، أما ربيع فينقصه الاعتدال في آرائه المتطرفة. ولم تتسرع في الحكم على فؤاد لأن شخصيته تدعو إلى التأمل، ومع ذلك تعتقد بأنها شديدة الغنى بإمكاناتها.

■ صبحي

طالب سوري قدم إلى باريس لنيل دكتوراه في الحقوق. تعرفت عليه الشخصية الرئيسية على ظهر الباخرة، وتقاسما الغرفة نفسها في فندق "كلود برنار" قبل أن تراودهما فكرة الانفصال عن بعضهما البعض ليعيش كل واحد منهما حياته الجديدة على هواه. استقرا في فندقين متواضعين متجاورين لقربهما من السوربون وكلية الحقوق. اختارت الشخصية الرئيسية الاستقرار في غرفة من الطابق السادس لفندق "ليفران زوم"، في حين فضل صبحي أن يقطن في غرفة بالطابق الثالث لفندق "البانتيون". يطفئ عليه طابع الاستهتار بالحياة، ويفتخر بكونه زير النساء الغربيات. له صديقة في معهد الحقوق، فتاة فارعة القامة، سوداء الشعر، مستطيطة الوجه، قسمااتها تشع ذكاء وجمالا. اضطرت إلى قضاء فترة الصيف في "الكوت دازور" بدلا من العودة إلى دمشق، وذلك لمراجعة المادة التي لم يفز بها.

■ عدنان

جاء بدوره إلى باريس لتهدئ دكتوراه في الحقوق. تعرفت عليه الشخصية الرئيسية أيضا في الباخرة التي أفلتها إلى فرنسا، وأقام فترة من الزمن في فندق "كلود برنار". ثم اكترى غرفة في منزل يوجد بضاحية "فانسين" لكونه شعر للوهلة الأولى بصميميته. تبدو شخصية عدنان متناقضة لكونها تشرب الخمر وتتحفظ من شربه لاعتبارات صحية. وترافق زمرة من الأصدقاء الذين يدمنون الخمر وتدعي بأنها تقوم بالشعائر الدينية (الصوم والصلاة). ينعته أصدقاؤه بالشيخ. أما جانين فتنعته بالشخصية التي لا تخلو من عصبية

دينية. وبعد أن نال عدنان تهنئة الممتحنين ذهب صحبة صبحي إلى "الكوت دازور" للاستجمام. دافع عدنان عن الانقلاب الأول الذي حصل في سوريا. ويرى بأنه ضروري في هذه الفترة التي تحتاج فيها الأمة العربية إلى "مستبد عادل" يصلح ما فسد.

■ فؤاد

طالب سوري يدرس بمعهد اللغات الشرقية. كان له تأثير كبير على الشخصية الرئيسة. فهو بالنسبة لها يعتبر المثل الأعلى. وترى بأنه معصوم من الوقوع في الحب نظرا للهالة التي أضفتها عليه. وهو الذي أوحى لها بعد الفراغ من مشاهدة تمثيلية "العادلون" بتكوين رابطة تلم شمل الطلبة العرب المقيمين في باريس. وكان له الفضل في صياغة دستور هاته الرابطة، وإرساء دعائمها واستضافة المحاضرين لتأطير المنخرطين. وتتميز شخصية فؤاد بغناها الشديد وإمكاناتها المتنوعة ونبيلها ورفعتها الإنسانية. ويتمتع بحس قومي مرهف، ويدعو الطلبة العرب، بعد عودتهم إلى بلدانهم إلى الانخراط في الحزب الذي يعبر عن نزعاتهم وأمانيتهم القومية. تخلى عن صديقه فرنسواز بعد نزاع دار حول السياسة الفرنسية في شمال إفريقيا. وفي هذا الصدد يؤثر الزواج بامرأة عربية تكون فعلا رفيقة حياته وتعينه على مواجهة القضايا القومية. عاد إلى موطنه إثر تلقيه برقية من أهل تنعي أباه وتطلب حضوره على الفور. قدم في معهد اللغات الشرقية شهادتين من شهادة الإجازة. نجح في شهادة الترجمة ولم يسعفه الحظ في شهادة فقه اللغة. ويظل أمامه عمل شاق للحصول على الشهادات الأخرى. ومع ذلك لن يكره باريس ولو قضى فيها عمره كله. ومع ذلك يلح على ضرورة الرجوع إلى الوطن للمشاركة في النضال القومي.

■ فرنسواز

أمنية إحدى المكتبات في باريس، فتاة على قدر كبير من جمال الوجه وجاذبية الجنس. صارحها فؤاد بأن علاقتهما لن تفضي إلى الزواج. وقد اضطررا للانفصال نظرا لدعمها سياسة القمع والإرهاب التي تنهجها الحكومة الفرنسية في شمال إفريقيا.

■ الأم

ذات وجه صغير، متجعد وهادئ، محنك ورصين، تلم باللغة الفرنسية وهذا ما أهلها للاضطلاع على البطاقات التي كانت ترسلها جانين إلى ابنتها، ففتنهاه عن الزواج بالفتاة الغربية لكونها مسيحية ومتحررة وتحته على الزواج بناهدة. ولما علمت بحمل جانين صبت جام غضبها على ابنتها. استغلته ضعفه أمامها وخوفه منها لتملي عليه القرار الذي ينبغي له أن يبلغه إلى جانين. ولكن بعد تفكير في الأمر بروية، فضل أن يهرب منها حتى يتحرر من عبوديته وانقياده لها. ولما جاءته رسالة فؤاد عمقت لديه الإحساس نفسه بحيث كانت بالنسبة له بمثابة صفة السوط لضميره المستيقظ.

■ ناهدة

فتاة لبنانية حصلت على شهادة الباكلوريا، ومنعتها أسرتها من متابعة دراساتها العليا. ستكون عما قريب من نصيب "ابن الحلال" (البطل). استاءت أسرتها وأسرته الفتاة لما علمتا بأنه سيمضي سنتين في باريس لإتمام رسالته. عاوده الحنين إليها مرات عديدة في قلب باريس. وهو يرى أن علاقته بها مبهمه وغامضة وإن كان يتلطف للقائها في دفاء غامر. لم تصرفه حياته الجديدة عن طبي صفتها نهائيا. فهو لا يعتبر تجربته معها تافهة وإنما "بريئة ونقية". ولهذا ينعته بالساذجة والمسكينة. ولما عاد إلى منبت نبعه، واختلى بها تبين له أنها تمثل صورة الفتاة الشرقية في أي مكان من أرجاء الوطن العربي الكبير. لم تكن هذه الصورة جديدة تتكشف له. إنه يعرفها منذ أن غادر وطنه إلى باريس. ولكنها الآن تبدو له في ذروة تكشفها وغاية انحسارها: "لقد رأى الفتاة الشرقية، الفتاة العربية، تتراجع أمام الشاب العربي، أي شاب، عربيا كان أم أجنبيا، أمام الرجل وعيناها طافحتان بالخوف منه، رواسب من الخوف تجمعت أجيالا في هذه الخطوة". ص (197). عاتبته على عدم مراسلتها فدارها في جوابه متذرا بكرة انشغالاته. تذكر أن أمه وعدتها بهدية منه، فاقترح عليها أن تأخذ كتابا من الكتب التي حملها معه. ونظرا لضيق الوقت فضلت أن تنسحب بعد أن ينتخب لها واحدا منها.

الشخصيات الثانوية

■ ربيع التونسي

طالب تونسي متخصص في التاريخ. له علاقة مع سيمون. تعرفت عليه الشخصية الرئيسية لما استدعيت لأول حفل بمنزل كامل. لقد ساعدها على تجاوز الخجل لمراقبة زينة. ألفت الشرطة الفرنسية القبض عليه وأوسعته ضربا إثر مشاركته في المظاهرة التي قام بها طلاب إفريقيا الشمالية احتجاجا على سياسة التعسف التي تخضع بها فرنسا أوطانهم. وبعد أن أفرج عنه أعيد إلى تونس وظل محجوزا فيها، وحظر عليه الدخول إلى فرنسا.

■ أحمد العراقي

طالب عراقي يتابع دراساته في كلية الطب. غادرته صديقته الفرنسية لترتبط علاقة مع زنجي. وفيما بعد وطد علاقة مع إفيث. أرشد أحمد الشخصية الرئيسية إلى كهف "برغولا" الذي أصبحت تتردد عليه جانين بعد اختفائها عن الأنظار. لما رأى الهراوات تنهال على صديقه التونسي من شرفة الفندق الذي يسكنه مع بعض رفاقه العراقيين، نزل السلم بسرعة مجنونة لإنقاذه: "ولولا أن لحق به أحد رفاقه وأمسكه دون الخروج لأصيب هو أيضا بهراوات الشرطة، بل ولسيق إلى السجن" ص (206). نجح في امتحان السنة الخامسة بكلية الطب، ثم ذهب إلى إسبانيا لقضاء عطلة بها.

■ تيريزا

تعمل خادمة في فندق "ليگران زوم"، تبلغ من العمر ستا وأربعين سنة، أرملة فقدت زوجها في الحرب العالمية الثانية. تعيل أولادها الأربعة والذين لا يتجاوز أكبرهم الثانية عشر سنة. لم تتعلم في حياتها من الناس إلا اللطف من أجل أن ترده إليهم مضاعفا. ربط معها البطل علاقة ود ومجاملة، وأنس إليها، وكان يجد راحة في محادثتها واستفسارها عن انطباعاتها حول جانين. ولما اشتدت حاجته إلى المال اقترض منها مبلغا ماليا بعد تردد. سلمته له واعدة إياه بأن تعيره مثله في مطلع الأسبوع القادم. "ولكن لا تنس أنني عاتبة عليك. إنك لم تكن لطيفا أبدا حين احتجت إلى المساعدة وترددت في طلبها" ص (206).

■ عينة من الشباب العربي المتحرر

وندرج ضمنهم كامل وزهير وأسعد ونصري. فهم قد ألقوا الرصانة التي كانت ترهق أكتافهم في بيروت ليعيشوا في باريس حياة منطلقة لا يحد حريتها قيد؛ ونضيف إليهم سامي الذي جاء إلى باريس في زيارة خاطفة، فبادر إلى الاتصال بالشخصية الرئيسية التي كانت تلتقي به في مقهى "الروشة" ببيروت لتبادل وجهات نظرهما حول قصائدهما وانتقاد شعر الآخرين. وبعد أن عرف سامي صديقه على "ليليان" طلب منه أن يبرز براعته في اجتذابها إليه والظفر بها لما يعود إلى لبنان. فهذه الشخصيات على تباين مشاربها تعتبر قدوة للشخصية الرئيسية إن هي أرادت أن تنسجم مع الحياة الباريسية، وتتساقق مع جوها المفعم بالصخب والمرح.

■ عينة من الفتيات العابرات

تعرف البطل على فتاة في سينما "البانتيون" وتجراً على ملامسة جسدها والاحتكاك بها ودس في يدها ورقة يوعددها فيها على اللقاء أمام السينما في الغد. لكنها لم تأت موجهة ضربة موجعة للشباب العربي الذي عانى من الحرمان والكبت. لما غادره سامي تركه مع صديقته "ليليان". وبذل البطل كل ما في وسعه لإرضائها وكسب مودتها ولما قادها إلى غرفته بفندق "كلود برناد" لم يفطن لحيلها وخداعها إلا بعد فوات الأوان. فهي انتحلت قصيدة "فطور الصباح" للشاعر الفرنسي "جاك بريفير" مدعية أنها شاعرة موهوبة. ثم سرقت مبلغا ماليا من محفظته. وفي هذا الصدد قال له صديقه صبحي: "على أية حال... إن من يسرق شعر رجل مثل جاك بريفير لن يتورع عن سرقة مال رجل مثلك" ص (59).

التقى مع فتاة اسمها مارغريت في باحة الفندق مصادفة. واستقدمها إلى غرفته دون ممانعة. لكن لما أشبع رغبته بسرعة مفجرا مكبوتاته التي تراكمت مع مر "السنين، واجهته بهذه العابرة الصادمة" كلكم هكذا أنتم الرجال.. أنا نانية قذرة". وطلبت منه الابتعاد عنها دون أن يدرك مغزى مجافاتها له. "لم تكن مارغريت بائعة لذة بل طالبة لذة. وأغلب الظن أنها تخيلت أنها واجدة لدى الفتى الشرقي ما لم تجده لدى فتیان الغرب. ولكن في اللحظة التي خيل فيها إلى الفتى الشرقي أن "اللقاء الأعظم" قد تحقق وأنه قد وهبها زهرة رجولته، عندها رأى أنها "تسارع بالنهوض نائرة الأعصاب متقلصة القسما، تتمم كلمات لا تبين، ولا تنم إلا عن غضب مكبوت".

■ عينة من المناضلين القومييين

عرف فؤاد صديقه الطالب اللبناني على فئة من مواطنيه الذين كانت لهم خدمات مشهودة في حقل التعليم. أتوا إلى العاصمة الفرنسية لاستكمال التخصص العالي في الفلسفة والأدب. وقد أسهمت هذه الفئة الواعية في رسم خطوط واضحة في التوجيه الوطني والقومي، وإلقاء محاضرات لتأطير المنخرطين في الرابطة وشحن إرادتهم وهمهم. "فإذا هي محاضرات قومية واجتماعية تتناول قضاياهم الماسة وتعالجها في كثير من المنطق والعلم والإخلاص أيضا" ص (236).

الشخصيات غير الآدمية

كما أسلفنا الذكر، في الفصل النظري، فإن القوى الفاعلة في الخطاب الروائي لا تنحصر فقط في الكائنات الآدمية كما يوحي بذلك مصطلح "الشخصيات". بل إنها تشمل كل ذات منخرطة في الفعل داخل العمل السردي سواء أكانت هذه الذات آدمية أم غير آدمية، كأن تكون حيوانا أو جمادا أو أفكارا أو قيما... وعليه، فانطلاقا من هذا التصور، نجمل مختلف القوى الفاعلة غير الآدمية في رواية "الحي اللاتيني" وفق ما يلي:

- القيم والأفكار والمشاعر: الحرية - الحب - اللامبالاة - الإنسانية - الوجودية - الحرمان - الكآبة - القنوط - الكبت - القومية - التكافل - النضال.
- الجمادات: تمثال الأعرابيين- نهر السين- فندق "ليفران زوم"- الحي اللاتيني - بيروت.
- المؤسسات: السوربون- المسرح- المقاهي - المتحف.
- الوقائع: الانقلاب العسكري في سوريا- سياسية القمع الاستعمارية في شمال إفريقيا - نكبة فلسطين.

يلاحظ أن هذه القوى الفاعلة غير الآدمية قد لعبت دورا كبيرا في الدفع بعجلة السرد وتغيير أو تعديل مواقف البطل في غير ما مرة. فعلى سبيل المثال لا الحصر، يعتبر كل من الحرمان والكبت والكآبة كمشاعر، محفزا ودافعا لانتقال البطل من الشرق المتزمت إلى الغرب (باريس) المتحرر. كما ساهمت فكرة القومية في جعل البطل وفؤاد ينتصران للشرق رغم تزمته ضد الغرب، رغم تفتحه.

دينامية الشخصيات ومنزلتها

يستدعي استخلاص البنية العملية للرواية برمتها إعادة توزيع الشخصيات كقوى فاعلة وفق العلاقات التالية.

علاقة الرغبة

ترتبط هذه العلاقة بين من يرغب (الذات) وما هو مرغوب فيه (الموضوع القيمي). على المستوى السطحي يتضح أن الشخصية الرئيسية قد قدمت إلى باريس لمتابعة دراستها العليا. أما على المستوى العميق فيتبين أن هناك عوامل نفسية أقتعتها بمغادرة وطنها. "أنت على يقين أن هذه السنوات الأخيرة كانت في حياتك إخفاقا. إخفاق هو الذي أقتعك بأنه ينبغي لك أن تبلو حياتك وتجربها في أعماق مجالاتها" (ص 10). لا نجد في الرواية أي مؤشر يعلل هذا الإخفاق أو يكشف عن بواعثه. لكنه بالاحتكام إلى الجو العام للرواية يتضح أن له علاقة بالجانب العاطفي. وهذا ما حفز الشخصية الرئيسية على الرحيل إلى باريس بغية تحرير الذات مما راكمته من ضروب الحرمان والكبت، وتنفس هواء جديدا مفعما بمعاني الحياة الجديدة ومباهجها.

علاقة التواصل

وتقتضي هذه العلاقة وجود مرسل ومرسل إليه. ولا يمكن للمرسل أن يتواصل مع المرسل إليه إلا إذا كلف الذات بإدراك الموضوع القيمي بمقتضى ميثاق يجمع بين الطريق. وفي تساوق مع علاقات الرغبة يتضح أن ما حفز الشخصية الرئيسية على الرحيل عن بيروت هو الإخفاق الذي تعرضت له خلال السنوات الأخيرة. ولهذا وجدت في الذهاب إلى باريس ذريعة لإتمام دراستها العليا من جهة، وتضميد جراحها الناجمة عن الإخفاق من جهة أخرى.

علاقة الصراع

يمكن لهذه العلاقة أن تعيق العلاقتين السابقتين أي (علاقة الرغبة وعلاقة التواصل). وبقدر ما يوجد الطرف المعيق الذي يحول دون وصول الذات إلى الموضوع المبحوث عنه، يوجد طرف آخر مساعد يؤازرها ويساعدها على ذلك. فبمجرد أن أقلعت الباهرة التي تقل البطل إلى باريس، شعر بأن قوتين متعارضتين تتجادبان. قوة الشرق وقوة الغرب. ويرمز المنديل الذي تهاوى من بين أصابعه إلى قوة

الشرق التي بدأت مساحتها تتراجع في قلبه لتكتسحها قوة الغرب بأمالها وأحلامها. حاول جاهدا أن ينخرط في الحياة الجديدة بما أوتي من حماس واندفاع لكنه لم يستطع ولم يكن قرار الزواج الذي اتخذته في آخر المطاف صادرا عن وعي وقناعة، وإنما إشفاقا على الوضع الذي آلت إليه جانين من جرائه. وفي ضوء ما سبق تتشخص البنية العالمية للرواية كالتالي:

- المرسل: الإخفاق الذريع- الرغبة في تحضير الدكتوراه.
- الموضوع: - الانخراط في الحياة الجديدة - إنجاز رسالة عن الشعر العربي الحديث.
- المرسل إليه: باريس (الحي اللاتيني).
- المساعد: كل الأصدقاء الذين ساعدوا الشخصية الرئيسية على مساندة إيقاع الحياة الجديدة ومنهم "جانين مانثرو".
- الذات: الشخصية الرئيسية.
- المعيق: الأم التي تحرص على التشبث بالتقاليد الشرقية.

من خلال هذه العلاقة يتبين الدور الذي نهضت به جانين مانثرو لإدماج الشاب العربي في الحياة الجديدة. وهذا ما اقتضى منها أن تحبه كما تحب المرأة الرجل في الشرق. لكن اتضح لها فيما بعد أنه لم يكن في مستوى الآمال التي علقتها عليه. فبدلا من أن يمسك بيدها لينقذها من الأزمة التي حفتها من كل جانب، يدفعها إلى الهاوية إذ تتحطم حياتها، وتتلاشى آمالها ومطامحها وتجد نفسها "فتاة ضائعة"، تتقاذفها أمواج الحياة حيثما شاءت.

الفضاء الروائي

نقصد بالفضاء الروائي المكان وزمان القصة في ترابطهما الجدلي والفني والسردية. فأحداث الرواية تقترب بفضاءين متناقضين: فرنسا ولبنان، وهما يشيران إلى التفاوت الحضاري بين فضاء روحاني وفضاء مادي. فلبنان بالنسبة لبطل الحي اللاتيني فضاء الحرمان والكبت والقهر والعادات المحافظة أما فرنسا فهو فضاء التحرر والانعتاق الوجودي. ويبقى الحي اللاتيني هو الفضاء الأساسي في الرواية لأبعاده التربوية والإنسانية كما أنه ملاذ للمحرومين جنسيا وعاطفيا. وتتقابل كذلك باريس الحرة مع بيروت التقاليد والمحافظة لتشكيل شخصية البطل في صراعها الذاتي والموضوعي.

أما زمان القصة، فإن كان غير محدد بشكل جلي ولكن يمكن أن نموقع القصة في فترة ما بين الأربعينيات و الخمسينيات لانتشار الفكر الوجودي وإقبال الشباب على كهوف سان جيرمان لإثبات وجودهم الجنسي والمصيري والتحرر من قيود العقل وأنظمة المنطق، والإشارة إلى خضوع الوطن العربي للاستعمار.

مكونات الخطاب الروائي

الوصف

يتسم الوصف عند سهيل إدريس بالإيجاز والاختصار؛ والسبب في ذلك أن الرواية تنبني على الأحداث ووظائف الشخصيات مما أثر على الوصف.

ولقد اهتم سهيل إدريس بوصف الشخصيات فوصفها وصفا بيانيا رائعا فيه سحر أخذ كوصفه لفتاة السينما: "واسترخى في مقعده سعيدا كالطفل، فرحا بقرب هذه الفتاة التي يشعر بنكهة الفتوة تفيض من أردانها. كانت ترتدي بنطلونا طويلا مرسلا في وحشية لذيذة، دون ما تفنن. أما وجهها، فلم ير إلا الجانب الأيمن منه: وجه طفل تبرق فيه عين زرقاء، وشفتان تلتمعان بحمرة شفافه تحييها بسمه ساذجة".

إن هذا الوصف يعتمد فيه الكاتب على الأوصاف والنعوت والتشبيه والاستعارات المجازية لتزيين الموصوف وتجميله. وقد يركز الكاتب على الوصف الخارجي الفيزيائي بطريقة موجزة ومختصرة تخالف طريقة المدرسة الواقعية التي تعتمد على التفصيل والإسهاب والإستقصاء كما عند نجيب محفوظ وعبد الكريم غلاب ومبارك ربيع: " فلم يقتنع عدنان ولم يشأ أن يمضي في النقاش. وما لبثوا أن طرقتوا باب منزل في ضاحية " فانسين " أخذوا عنوانه من أحد المكاتب، ففتحت لهم سيدة لا يبدو أنها تتعدى الثلاثين من عمرها، ممشوقة الجسم، سمراء الوجه، ذات سحر وإغراء. وقد استقبلتهم باسمه مرحبة وأدخلتهم غرفة مؤثثة نظيفة طلبت ثمانية آلاف فرنك أجرا شهريا لها. كما وصف الكاتب الفضاء بأشياءه كوصفه لغرفة جانين بعد سأمها الوجودي وضياعها النهائي: "وبدخل،

يفيغلق الباب، ويراهما تخلع سترتها وترمي بها على سرير منخفض صغير قائم في الزاوية. وإذ ذاك رأى ثيابها. كانت ترتدي مثل اللباس الذي رآه في "برغولا". وأجال بصره في الغرفة. إنها نصف غرفتي، نصف غرفتها في "ليجران زوم". وبالقرب من السرير، كانت تقوم طاولة قصيرة القوائم. وفي الزاوية المقابلة أريكة ذات مرفقين، أتجه إليها متمهلاً، فانخسفت به حين اقتعدتها.

ويلاحظ على وصف الأشياء الإيجاز بالمقارنة مع روايات بلزاك أو فلوبيير؛ والسبب في ذلك يعود إلى افتقار غرفة جانين إلى الأثاث لفقرها وعوزها. ووصف الكاتب بعض الأمكنة إيجازاً واختصاراً: "على أنه ما عتم أن ضاق بغرفته نفسها، فغادرها عند الغروب إلى ساحة الأوبرا وفي نيته أن يشاهد واجهات المخازن المزدانة لمناسبة الميلاد، بكل رائع فتان من المعروضات. وقد ظل ساعة ينتقل أمام الحوانيت المضاءة، حتى أسلمته قدماه إلى جادة "الشانزليزيه"، وكان قد اجتازها مرة من أدناها إلى أقصاها، فاستشعر لذلك لذة غريبة

الرؤية السردية

يستند الكاتب في تقديمه للحبكة السردية إلى الرؤية من الخلف أو التبئير الصفري لاعتماد الكاتب على ضمير الغياب والراوي الواحد الموضوعي الذي تنازل إلى درجة الصفر لكسب الحياد وعدم التدخل في الأحداث. وتتسم معرفة الراوي بكونها معرفة شاملة ومطلقة تتعدى ماهو خارجي على ماهو داخلي كأنه الإله الخفي، ويعني هذا أن السارد يتوارى وراء ضمير الغائب ليقدّم وجهة نظره ورؤيته للعالم والكون والإنسان. وإليك مقطعاً سردياً يحدد لنا هذه الرؤية المطلقة التي تدخل الرواية ضمن زمرة الروايات الكلاسيكية التقليدية: "وأغضت جانين مونتر، فأدرك هو أن نظراته المحددة قد آذنتها. والحق أنه لم تكن له في ذلك حيلة، فقد كان في عينيها الزرقاوان صفاء لم يعهده في عينين قبلهما. وكان يحس، وهو ينظر فيهما، أن نظراته تستحم في مياهها الدافئة، بالرغم من أنها نظرات خاطفة هاربة، بل من أجل ذلك بالذات. وقد شعر بهذا منذ التقت عيناه بعيني جانين للمرة الأولى، فكان كل همه بعد هذا النظر الهارب، ويخبته في نظره، حتى يتاح له أن يسبر أغواره. وكان الفتاة إذ أغضت، قد أدركت ذلك، فصرفت عنه هذا النظر الذي يود أن يحتفظ بأسراره"

وللسارد وظائف يقوم بها في هذا النص كوظيفة السرد والتعليق وتقديم الأحداث والتنسيق بين الشخصيات والتأثير في المتلقي من خلال الوظيفة الانفعالية، بالإضافة إلى الوظيفة الإيديولوجية التي تكمن في تقديم الفلسفة الوجودية والدفاع عنها في هذا النص الروائي كأطروحة فكرية للاختبار والتمحيص.

بنية الزمن في الرواية

وظف الكاتب نسقاً زمنياً كلاسيكياً متنامياً ومتسلسلاً في تطوره السردية والكرونولوجي المتعاقب، إذ انطلق من الحاضر إلى المستقبل أو من لحظة الوصول إلى باريس إلى لحظة العودة إلى بيروت بعد حصوله على شهادة الدكتوراه كأن الزمن السردية في النص زمن دائري: بيروت- باريس- بيروت. وعلى الرغم من تسلسل الأحداث منطقياً وسببياً وكرونولوجياً فهناك انحرافات زمنية إما: إلى الماضي لاسترجاعه "فلاش باك" أثناء تذكره للبنان وناهدة وأسرته وأصدقائه وإما في استشراف المستقبل لما ينتظره من طموح وتطلع علمي ونضالي أو لقاء غرامي ورومانسي.

الصياغة الفنية

استعمل الكاتب في صياغته الفنية لمتنه الروائي على السرد، ولكن لم يكتف بهذه الطريقة الأحادية في التعبير بل وظف الحوار للتعبير عن مواقف الشخصيات واستنطاق وجهات نظرهم ومنظوراتهم الإيديولوجية، كما شغل الأسلوب غير المباشر الحر الذي يختلط فيه كلام السارد والشخصية والذي يتحول في عدة مقاطع نصية إلى منولوج أو مناجاة تعبر عن الصراع الداخلي والتمزق النفسي: "ولكن هذا كله ما معناه، وما مناسبتة؟ أليس هو تعلقة تتعلل بها من خيبتك؟ أية خيبة هي؟ فتاة وعدت بالمجيء، وأنا لم أطلب إليها ذلك، ثم لم تأت، فليس في الأمر ما يعنيني، وإنما يعينها هي أنها كاذبة. أما أنا، فقد ذهبت إلى السينما لأشاهد ذلك الفيلم الرائع، وكان لقائي بها لمصادفة عابرة أستطيع أن أنساها بالسهولة نفسها التي تمت بها. أي ضير في هذا؟

أما لغة الرواية السردية فهي لغة بيانية وإنشائية تذكرنا بلغة الرافي وطه حسين والمنفلوطي، تمتاز بصناعة التعبير وسلاسة الألفاظ والتعابير الموحية والصور البلاغية الرائعة في الجودة والانتقاء، كما أنها لغة شاعرية في التشخيص، ثرية في تراكيبها ومعاجمها. ومن حقولها الدلالية نجد: حقل السفر- حقل الذات- حقل الجنس- حقل العلم- حقل الحب- حقل النضال.

أما الخطابات التي تتضمنها الرواية فنذكر الخطاب الفلسفي " الوجودية"، والخطاب الأدبي " الشعر العربي الحديث"، والخطاب الديني " تصورات عدنان"، والخطاب السياسي " تصورات فؤاد"...

وبناء على ما سلف يمكن القول: إن الحي اللاتيني رواية كلاسيكية في أسلوبها وبيانية في لغتها الأدبية على غرار رواية زينب لمحمد حسين هيكل أو عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم.

الأبعاد المرجعية في الرواية

البعد الفلسفي

تندرج رواية الحي اللاتيني لسهيل إدريس ضمن الروايات الوجودية التي تركز على مقومين أساسيين وهما: الحرية والمسؤولية. أي أن هذه الرواية تصور عبث الشخصيات وقلقها ومللها وتحررها من القيود الاجتماعية والأخلاقية بحثا عن ذواتهم. ولكن تبقى الحرية عند البعض فوضى واستهتار مثل: صبحي وعدنان، وعند البعض الآخر مسؤولية كفؤاد وبطل الرواية. " إن تعبير الحي اللاتيني عن الفكر الوجودي الذي التزم به المؤلف، لاتقل أهمية عن المضامين العديدة الأخرى التي ناقشتها الرواية من خلال اللقاء المتعدد الآثار بين الشرق والغرب، إن لم تكن تلك المضامين نابعة أصلا من موقف عام أملاه هذا الفكر في نظرتة إلى الإنسان والواقع وحركة الحياة. وهكذا كان الفكر أبرز ما يسم رواية الحي اللاتيني التي تعد بداية انفتاح المؤلف " البطل" على الفكر الغربي بصورة مباشرة، ويتضح ذلك بصورة خاصة في قضايا المرأة والالتزام الوطني والقومي والسياسي، والمفارقة بين الموقف الثقافي والموقف الاستعماري في الحضارة الأوروبية."

البعد الاجتماعي

تناقش الرواية كثيرا من الظواهر الاجتماعية و الحضارية كالتفاوت الموجود بين الشرق والغرب على مستوى العلم والثقافة والفكر والفلسفة والفن، ومعاناة العالم العربي من التخلف والاستعمار والجهل والاستبداد السياسي والحرمان الاجتماعي وتردي القيم. كما تشير الرواية إلى نكبة فلسطين وضرورة النضال الوطني والقومي.

وتشير الرواية كذلك إلى البعثات الطلابية إلى الخارج وانسياقهم وراء ملذات الحياة والتيارات الإلحادية المنحرفة والانغماس في الجنس والخمرة والاستهتار بالأخلاقي. وتعكس كذلك منظومة الزواج في العالم العربي، واستعداد الشباب العربي المثقف للنضال والتضحية من أجل التحرر من الاستعمار والتخلف.

البعد النفسي

تتميز شخصيات الرواية بالطابع الوجودي وبخاصية الاستهتار والعبث واللاجدوى والخوف والقلق واليأس. فبطل الحي اللاتيني عند وصوله إلى باريس كان يحمل معه نفسية شرقية يطبعها الحياء والانطواء والانعزال والحرمان والكبت والشذوذ، إذ استقصد باريس للارتواء الجنسي باحثا عن المرأة للتلذذ بها أو الاجتماع بها وجوديا. وقد أحس بالإخفاق والإحباط العاطفي وتعرض للخوف والقلق والاعتراب الذاتي والمكاني ولم يستطع أن يتكيف لا مع شرقه المستبد الممل ولا مع الغرب العبيثي. وينتقل البطل بعد ارتباطه بجائين إلى التغني بالفرديّة والندرجية بعيدا عن الهموم الجماعية والنضال الوطني. لينتهي به المطاف إلى الفكر الجماعي وعزمه في الأخير على النضال والتحرر.

القراءات النقدية

هناك عدة دراسات قاربت رواية الحي اللاتيني، فهناك من اكتفى بتلخيص الرواية كما فعلت خالدة سعيد في كتابها حركية الإبداع، وهناك من قاربها من الناحية الفنية كالدكتور إبراهيم السعافين " تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام"، وهناك من حاكمها أخلاقيا مثل: عيسى الناعوري ورضوان الشهبال اللذين أدانا البطل ووصفاه " بأنه سفيه خسيس ارتكب عملا لا أخلاقيا بتخليه عن الفتاة التي أنجبت منه، وخرجا من ذلك بأن المؤلف، مثل بطله، سفيه خسيس". ونجد إلى جانب ذلك دراسات تقريرية أشادت بهذه الرواية وأبانت روعتها الفنية والجمالية مثل: نجيب محفوظ و ميخائيل نعيمة ويوسف الشاروني وأحمد كمال زكي وشاكر مصطفى وعبد الله عبد الدائم